

أضواء البيان

@ 56 @ ضرب لهذه الأُمَّة الأمثال في هذا القرآن العظيم ، ليتفكّروا بسببها ، وببَيِّنَاتٍ أَنها لا يعقلها إلا أهل العلم ، وأن اللّٰه يهدي بها قومًا ، ويضلّ بها آخرين . . .
وهذه الآيات الدالّة على ذلك كلّها ، فمنها قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلُقُ دُونَهُ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّاءًا بِعُوضَةٍ فَمَا يَوْقَهُهَا وَأَمْ يَسْأَلُ السَّادِّينَ ءَامَنْدُوا ؟ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ زَيْدَ الْحَقِّ مِنْ رَبِّهِمْ } ، وقوله تعالى : { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } ، وقوله تعالى : { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } ، وقوله تعالى : { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } ، وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ } ، والآيات الدالّة على ذلك كثيرة معلومة ، والعلم عند اللّٰه تعالى . { وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرًا سَوَّوْءَ أَفْلَامٍ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلًا كَانُوا } . أقسم جلّ وعلا في هذه الآية ، أن الكفّار الذين كذبوا نبيّنا صلى الله عليه وسلم ، قد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء ، وهو أن اللّٰه أمطر عليها حجارة من سجيل ، وهي سدوم قرية قوم لوط ، وهذان الأمران المذكوران في هذه الآية الكريمة ، وهما أن اللّٰه أمطر هذه القرية مطر السوء الذي هو حجارة السجيل ، وأن الكفار أتوا عليها ، ومروا بها جاء موضحًا في آيات أخرى . . .
أمّا كون اللّٰه أمطر عليها الحجارة المذكورة ، فقد ذكره جلّ وعلا في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : { فَجَعَلْنَا عَلَيْهِهَا سَافِلًا وَآمَطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ } ، وبَيِّنَاتٍ في سورة (الذاريات) ، أن السجيل المذكور نوع من الطين ، وذلك في قوله تعالى : { إِنَّ زَيْدَ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مِّمَّ جَرَمِينَ لِنُزِيلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ } ، ولا شكّ أن هذا الطين وقعه أليم ، شديد مهلك ؛ وكقوله تعالى : { وَأَمْ طَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ } ، وقوله تعالى : { لَعَمْرُكَ إِنَّ زَيْدَ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَلَيْهِهَا سَافِلًا وَآمَطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ } .